رثاء شهيد الأمة وأمير الاستشهاديين:

(أبي مصعب الزرقاوي)

للشيخ أُسَامَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ لاَدِنْ (حفظه الله)

الحمد لله، ثم الحمد لله، الحمد لله القائل:
{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران:169-170].

والصلاة والسلام على نبينا محمد، القائل:
(والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)

أما بعد؛

فلقد فُجعت أمتنا الإسلامية بفارسها المقدام، أسد الجهاد، ورجل الحزم والسداد: **أبي مصعب الزرقاوي أحمد الخلايلة**، إثر مقتله بغارة أمريكية آثمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فنرجوا الله أن يكرمه بما تمنى فيتقبله في الشهداء، ويجزل له المثوبة والعطاء، ويحسن لأهله و ذويه العزاء.

أيها المسلمون؛ إن المصاب جلل، والخطب عظيم، ونَحُثُكُم على الجميل؛ وهو الصبر، ونُرَغِبُكُم في الجزيل؛ وهو الأجر.

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر * فليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ**
فتىً مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر إذ فاته النصرُ**

أمتنا الإسلامية الغالية؛ لإن أحزننا فراق الأحبة، أبي مصعب وصحبه، فقد سرنا أن أنفسهم سالت في هذه الملاحم العظام وهم يذودون عن شريعة الإسلام، ولأن أُصيبَ فارسٌ من أعظم فُرسانِنا و أميرٍ مِن خيرَةِ أُمَرائِنا، فقد سَرَنا أمرًا وخلدنا فيه رمزاً وقدوةً خالدةً لأجيالِ أمتنا الماجدة، وسيدنا ... المجاهدون يدعون لهم ويثنون عليه شِعرًا ونثرًا، سِرًا وجهرًا، سَنُشيد على نهجِهِ وعَلِمْنا.

فقد كان سَمِحَ المُخالطةِ ... يلين بحلمٍ * و إن آنس الناس فرعاً كرَّ غير مُذممِ**

مضى أبو مصعبٍ رافعَ الرأس، عزيزَ النفسِ، حُراً أبياً، كريماً وفياً، لم يعطِ في دينه الدنية، ولم يَنَمْ على الضيم أبداً، ولم يُداهن في الحقِ أحداً، عزيزاً على الكافرين، رحيماً بالمؤمنين، مُحرضاً على القتال، و مجاهداً في سبيل الدين.

و مِن أقواله رَحمه الله: **(لا خير في عيشٍ تُنتَهَكُ فيه أعراضنا، و تُداسُ فيه حرامات حرائرِنا، ويحكُمُنا فيه عُبّادُ الصليب)**.

وقوله: **(نُقاتِلُ في العراق و عُيونُنَا على بيتِ المقدس، الذي لا يُستَردُّ إلا بقُرآنٍ يهدي و سِيفٍ يَنْصُر)**.

وكان رحمه الله مجَلَ محبة أصدقائه، وتقدير أعدائه، فالمنصفون منهم شهدوا له ومدحوه، ولا عجب.

مضى طاهر الأثواب لم تبقى روضة * غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ**
عليك سلام الله دوماً فإنني * رأيتُ الكريمَ الحُرَ ليس له عمرُ**

اقتدى أبو مصعب بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، واقتدى بمن مضى قبله بساداتنا؛ بمُصعبٍ وعمر وعلي وجعفر، رضي الله عنهم أجمعين، فخاض غِمار الحرب مُبتسماً، فرفع الله شأنه، وأعلى ذكره، وصار أسوَةً لمن بعده.

حُب الجبان النفسَ أورده البقا * وحُب الشُجاع الحربَ أورده الحرب**
وما الفرق ما بين الأناة وبينه * إذا حَذِرَ المحذور واستصعب الصعبُ**

مضى أبو مصعب عليه رحمة الله وقد فتح الله عليه؛ فأسَسَ قاعدة للدفاع عن الدين، ولاسترجاع فلسطين بإذن الله، وأخذ بثأر المستضعفين هناك، حيث أثخن في الأمريكيين حلفاء اليهود ودوَّخَهُم، فقتل رِجالهم، وصَدَّع بُنيانهم، واستنزف أموالهم، وأذلّ رجالهم، وأذل كبريائهم، حتى تجرأ عليهم الحدادي والفاضل، والطائع والعاصي، فدخل التاريخ من أوسع أبوابه فَسَرَّ به، وأخذ بيد العالم إلى طريق العزة فعرّفه، بإصرارٍ وحزمٍ وذكاء، فخُلِّدَت سيرته مع سير أعلام النبلاء.

ولا تبكين إلا ليث غاب * شجاعاً في الحروب الثائرات**
دعوني في الحروب أمت عزيزاً * فموت العز خير من حياتي**

إن أبا مصعب علَّمَ البشرية دروساً عملية في كيفية انتزاع الحرية، فالحرية لا تُوهب للخانعين تحت قباب الديمقراطية، وعلَّمَ البشرية التمرد على الطغاة، في زمن إستَبدَ فيه الطاغوت الأكبر فرعون العصر، بوش وصحبه، وداسوا على جميع القيم والمواثيق، ولكم في غزو العراق وسجن غوانتنامو عِبرة، فأرهبوا الناس، واستذلوهم بالنار والحديد، وعاملوا الرؤساء معاملة العبيد.

لقد جاء فرعون العصر إلى العراق لا يبالي برفض ومظاهرات البشر، الذين قالوا له (لا لسفك الدم الأحمر من أجل النفط الأسود)، ولكنه إحتقر العالم أجمع، وتقدَمَ إلى العراق مُستكبِراً، مُتَعطرِساً بجنده وعتاده، مُتَصوراً أن أسد الشرى قد مُسِخُوا، وأن رجال الشام قد خَنَسوا، بعد أن قدَّمَ له حُكام العَرَب من فاقدي الحياء آيات الطاعة والولاء، والمذلة والاستحذاء، وكان يظن بأنه يُحسِنُ على رأسه؛ متى يكون دوره لِيوضَع في رَمسِه.

هَجَمَ العدو على العراق فجعل يعسِف بالناس عَسفاً، و ينسِفُ القرى نسفاً، وأزيز الطائرات قد ملأ الآفاق، وصمَّ الآذان، و إنفجارُ البارودِ قد نَشَرَ الخوف، وأزكَمَ الأُنوف، وكانت الجبالُ تهتزُ وتميد من شدة القصف، فبلغت القلوب الحناجر، ولاذ أولو البأس إلى أحلاسِ بيوتهم، ولم يحرِّضوا بقول، ولم تجرح أقلامهم من شدة الهول، واشرأب الباطل، ونَقَضَ المنافقون العهود، ووقفوا في خندق النصارى واليهود، وصار المسلمون كالغنم الشاتية، في ليلة مطيرة بأرض مسبعة.

وفي ظل تلك الأجواء الرهيبةِ الكئيبة، التي تَرى فيها أشباه زعماء ولا زعماء، وأشباه علماء ولا علماء، وأشباه رجال ولا رجال، إلا من رحم الله، **في تلك الظروف العصيبة المزلزلة ظهرَ فارس الإسلام أبو مصعب الزرقاوي.**

كمَثَلِ الليث مُفتَرِشاً يديه * جريءُ الصَدرِ رئبالاً سِبَطر**

ظهر ومعه ثلة من المـؤمنين، **كانوا سـبعة عشـر رجلاً**، وليسوا سبعة عشر جيشاً، فتواثقوا وتعاهدوا، وعاهدوا اللـه تعـالى أن ينصـروا دينـه، أو يهلكـوا دونـه، رِجـالٌ و الرِجـالُ قليلُ.

والناس ألف منهم كواحدٍ * و واحدٍ كالألفِ إن أمر عَنا**

ومن سيقاتلون بدرٍ في العدد أو مثليهم ؟! كلا، أو حـتى عشرة أمثالهم ؟! كلا، إنها أمواج كأمواج البحـرِ من العتـادِ وجنود الشر، ولكـن مـن عَظـُمَ اللـه في قلبـه و رُزِقَ التوحيـد تَميـدُ الجبـال الرواسـي ولا يتزحزح فتَرجُـل فارِسُـنا حاملاً الراية، وعزَمَ على القتالِ إلى النهاية، فإما يـذوق مـا ذاقَ جعفرٌ أو يذوق النصر.

فأثبَتَ في مُستنقعِ الموتِ رِجلَهُ * وقال لها مِن تحتِ أخمصُكِ الحشر**

فخاضوا غمار الحرب، وبدء الضربة، وذلك بعددٍ يسير من الكلاشنات، وعددٍ يسير من القنابات، وعددٍ يسير مـن مدافع البازوكا، وكان اللقاء مع بعض إخـوانه في الفترة الماضية إلى الجهادِ ضد الروس، فسابق إخـوانه حـتى سـبق المتقـدمين، وسبق الريح الناطقين، وبمجيئـه وإخـوانه إلـى أرض أفغانسـتان أخـذوا تطعيـم معركـة ضـد القــوى الكــبرى، وزالــت مــن أذهــانهم أســطورة الــدول العظمـى، ونقلـوا الجُـرأة الكـبيرة المتوثبـة، والمعنويـات الهائلة، من أفغانستان إلـى بغـداد، وأشـعلوا فتيـل الجهـاد، وتفجرت طاقات الشباب في كل مكان، من أعلـى الفـرات إلى أسفله، ولله الحمد والمنة.

هذا هو فارسنا الذي نتحدث عنه، قام بكل ذلك بعـد توفيـق اللـه لـه؛ بإمكانيـات ذاتيـة بسـيطة، ولـم يكـن وراءه حلـفٌ دولي، ولا تحالفٌ إقليمي، ولا تنظيـمٌ عـالمي، وذلـك فضـل الله يؤتيه من يشاء، والله واسعٌ عليم.

نَفسُ عِصامٍ سوّدت عِصاماً * وعلمته الكرَّ والإقدامَ**

نعم هذا هو فارس الإسلام الذي نتحـدث عنـه، والـذي قـام في وجه فرعون العصر، في وجه الإمبريالية الأمريكية، بعـد أن فشلت المنظماتُ الدولية، والتجمعاتُ الإقليمية، بعد أن فشل العالم أجمع في إيقاف ذلك العدوان الغاشم الظلوم.

ضروب لهام الضارب الهام في الوغى * خفيفٌ إذا ما أثقل الدرعُ حامله**
بصير بأخذ الحَمدِ من كل موضعٍ * ولو خبأته بين أنيابها الأسدُ**

وهنا ندعو الله أن يجزي خير الجـزاء فارسـنا المقـدام، وأن يجزي خير الجزاء كل من عزّانا وواسانا في فارسنا العظيم رحمه الله، ونخص بالذِكر أمير المؤمنين الملا محمد عمـر، فنرجـوا اللـه تعـالى أن ينصـره وإخوانه المجاهـدين علـى الكافرين.

ثم إنني أقول لمن يتهم فارسنا وأمتنا بأنه يقتـل بعض فئات الشعب العراقي؛ أقول له؛ إذا جاءك من يدَعِي أن رجلاً فقأ عينه فـتريث حـتى تـرى المُـدَعَى عليـه، فلعل المُدَعِي قد فقأ عينيه!

وهذا ما بدأ يزداد وضوحاً في الأسابيع الأخيرة، حيث تحـدث النـائب محمـد الـدائن عـن حجـم الظلـم والتعـذيب الـذي يُمارس ضد المسلمين في السجون العراقيـة، كمـا تحـدث

كذلك من قبل قادة هيئة علماء المسلمين عن حـرب إبـادة يتعرض لها أبناء الإسلام في العراق.

وإن أبـا مصـعب، عليـه رحمـة اللـه، كـانت لـديه تعليمـات واضحة؛ بأن يركز قتاله على الغزاة المحتلين وعلى رأسهم الأمريكيين، وأن يُحَيد كل من رَغِبَ فـي الحيـاد، **وأما مـن أبى إلا أن يقف يقاتل فـي خنـدق الصـليبيين ضـد المسلمين، فليقتله كائناً من كان، بغض النظر عن مـذهبه وعشـيرته،** فمناصرة الكفـار علـى المسـلمين ناقض من نواقض الإسلام العشرة، كما هو مقررٌ عنـد أهـل العلم.

ثم إني أقول لجيوش؛ يجب عليكم ستشعروا جثمان البطـل لأهله، ولا تُكثِروا الفرح، فالراية ما سقطت بحمد الله، وإنمـا انتقلت من أسدٍ إلى أسد مِن أسرة [illegible] وستواصل بإذن اللـه قتـالكم وحلفـاءكم فـي كـل مكـان، فـي العـراق وأفغانستان، والصومال والسودان، حتى تستنزف أموالكم، ونقتل رجالكم، وترجِعوا مهزوميـن بـإذن اللـه إلـى بلادكـم، كما هزمناكم من قبل بفضل الله في الصومال.

كما أقول لوكيلك فـي الأردن؛ كفـاك اسـتبداداً، فقـد منعت أبا مصعب الـدخول إلـى مـوطنه حيـاً، فلا تَحُـل بينـه وبين ذلك الآن، **وأوشك الخـارج إلـى الخـروج من الأردن هو أنت؛ إلى الحجاز فـي بـلاد أجدادك، أو إلـى بـلاد آبائـك قبـل أن تُنَصِبَ بريطانيا جدك [illegible] عميلاً لها على الأردن،** وما يُخيفُكَ من الزرقاوي بعيد رحمة اللـه بعـد أن فارق الحياة، إلا لأنك تعلـم أن جنـازته إن تُـرِكَ المسـلمون وشأنهم فيها فستكون بإذن الله جنازةً كـبيرة، تُظهِـر مـدى تعاطف المسلمين مع أبنائهم المجاهدين.

وفي الختام أقول؛ إن أبا مصعب عليه رحمة الله لا يشرف قبيلته ووطنه وأمتـه فحسـب؛ بـل يشـرف البشرية جمعاء.

فقد جسَّدَ لها معاني العزة والإباء، والتضـحية والفـداء، وإن سيرته مادةٌ قيِّمَة لنموذجٍ مُعاصر، فإن دَرَست الدُنيا سيرته العطـرة تعلَّـمَ أبناؤهـا كيـف يصـنَع الإيمـان بـالله الرجـال، ليقاوموا أهل الظلـم والضـلال، وحـريٌ بكـل مُربـي وكـاتبٍ وروائي أن يقتَبِسَ من سيرته ما يُحيي بـه الأجيـال الناشـئة والأجيال القادمة، كما أنه حَريٌ بكـل شـاعر حُـر أن يقـرُضَ الشِعرَ في هذا الصقر، ولو كنت من فرسان الشعر لأكثرت القوافي في رِثائه، ولنافست بذلك تماضر فـي رثـاء صـخر، ولكن لا حـرج أن أستعير أبياتـا مـن شِـعر شـاعِر الـدعوة الإسلامية المعاصرة، الشيخ يوسف أبو هلالة:

غص الثرى بدم الأضاحي وتلبست سُوح الكفاح
ومن القفار الجرد تنزف دمـاء الصراح
تزهو بألوية العقيدة والبطولة والصلاحِ
وتقول إن شحَّ العطاء فنحن للدين الأضاحي

***

والفوز فوز الخاضبين جسومهم بدمِ الجراح
الرافضين بأن تباع ديارهم بيعَ السماح
والعائفين العيش عيش المستذل المستباح

***

بضع من اللحظات يرغم رغمها هوج الرياح
يهوي بها حمداً على الصبر مقصوصَ الجناح
من بعد ما اقتحم الردى والطعن قد غمر النواحي

***

فحنوت ألثم جرحه الرعاف فانتكأت جراحي
وهمت على خدي الدموع فقلت يا روحي وراحي
هلا رحمت قلوبنا وعدلت عن هذا الرواحي

***

فأجابني البطل المسجى هازئاً بي باقتراحي
كفكف دموعك ليس في عبراتك الحرة ارتياحي
هذا سبيل إن صدقت محبته فاحمل سلاحي

رحم الله أبا مصعب، ورحم الله كل من حمل السلاح للجهاد في سبيل الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

4 جمادى الثاني 1427 هـ
30 يونيو/حزيران 2006 م